الفصل السادس

الوسواس ، والجنة والناس ، نحواً وصرفًا

- اشتقاق الوسواس ، وهل هو وصف أم مصدر ؟ وهل هو بمعنى الثلاثى المضعف ؟
- وبم يتعلق الجار والمجرور ؟ وما موضع الجار والمجرور إذا كان حالاً أو صفة ؟
- و« الناس » مم اشتق ؟
- وكيف وقع اسم الرجال على الجنّ ؟ وهل يطلق عليهم اسم الناس؟
- هل يوسوس الإنسى للجن ؟

obeikan.com

obeikan.com

* قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (*) اختلف المفسرون فى هذا الجار والمجرور بم يتعلق ، فقال الفَراء وجماعة :

هو بيان « للناس » الموسوس فى صدورهم ، والمعنى : يوسوس فى صدور الناس الذين هم من الجن والإنس .. أى الموسوس فى صدورهم قسمان : إنس وجن . فالوسواس يوسوس للجنى كما يوسوس للإنسى ..

وعلى هذا القول فيكون « من الجنة والناس » نصب على الحال ؛ لأنه مجرور بعد معرفة على قول البصريين ، وعلى قول الكوفيين : نصب بالخروج من المعرفة.

هذه عبارتهم ، ومعناها : أنه لما لم يصلح أن يكون نعتًا للمعرفة انقطع عنها فكان موضعه نصبًا .. والبصريون يقدرونه حالاً : أى كائنين من الجنة والناس ، وهذا القول ضعيف جدًا لوجوه :

أحدها : أنه لم يقم دليل على أن الجِنّى يوسوس فى صدور الجِن ويدخل فيه كما يدخل فى الإنسى ، ويجرى منه مجراه من الإنسى ، فأىُّ دليل يدلُّ على هذا حتى يصح حمل الآية عليه ؟

الثانى : أنه فاسد من جهة اللفظ أيضًا ؛ فإنه قال : « الذى يوسوس فى صدور الناس » ، فكيف يُبيّن الناس بالناس ، فإن معنى الكلام على قوله يوسوس فى صدور الناس ، الذين هم أو كائنين من الجنة والناس .. أفيجوز أن يقال فى صدور الناس الذين هم من الناس وغيرهم ؟ هذا ما لا يجوز ولا هو استعمال فصيح .

الثالث : أن يكون قد قسم الناس إلى قسمين : جنة وناس ، وهذا غير صحيح ؛ فإن الشىء لا يكون قسيم نفسه .

(*) الجنة : اسم جمع جنىّ بياء النسب إلى نوع الجن ، والجنىّ واحد من نوع الجن، كما يقال : إنسىّ لواحد من الأنس،قدَّمَ الجنة على الناس هنا لأنهم أصل الوسواس ، وقدم الناس على الجن هناك : لأن خبثاء الناس أشد مخالطة للأنبياء من الشياطين ، لأن الله تعالى عصم أنبياءه من تسلط الشياطين : ﴿ إنّ عِبَادِى لَيْسَ لك عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ .... الغَاوِينَ ﴾ .

الرابع : أن الجِنة لا يطلق عليهم اسم الناس بوجه لا أصلاً ولا اشتقاقًا ولا استعمالاً ، ولفظهما يأبى ذلك ، فإن الجن إنما سمّوا جنا من الاجتنان ، وهو الاستتار ؛ فهم مستترون عن أعين البشر ، فسموا جِنا لذلك من قولهم جَنَّه الليل وأَجَنَّه إذا ستره ، وأجنَّ الميت إذا ستره فى الأرض .

قال الشاعر :

ولا تبك ميتًا بعد ميتٍ أجَنَّهُ علىّ وعباس ، وآل أبى بكر

يريد النبى ﷺ ، ومنه الجنينُ لاستتاره فى بطن أمه ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ (١) .

ومنه المِجَنّ لاستتار المحارب به من سلاح خصمه ، ومنه الجَنَة (٢) لاستتار داخلها بالأشجار ، ومنه الجُنَة (بالضم) لما يقى الإنسان من السهام والسلاح ، ومنه المجنون لاستتار عقله .

* *

وأما (الناس) : فبينه وبين الأنس مناسبة فى اللفظ والمعنى ، وبينهم اشتقاق أوسط ، وهو : عقد تقليب الكلمة على معنى واحد ، والأنس والإنسان مشتق من الإيناس ، وهو الرؤية والإحساس ، ومنه قوله تعالى : ﴿ آنَسَ من جَانبِ الطُّورِ نَارًا ﴾ (٣) ، أى رآها ، ومنه : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ (٤) ، أى أحسستموه ورأيتموه .

فالإنسان سمّى إنسانًا لأنه يُؤنَس أى يُرى بالعين .

* *

● اشتقاق الناس (*)

* الناس فيه قولان : أحدهما : أنه مقلوب من أنس ، وهو بعيد والأصل عدم القلب .

والثانى : وهو الصحيح أنه من النّوس وهو الحركة المتتابعة ؛ فسمى الناس

(١) النجم : ٣٢ (٢) بالفتح .
(٣) القصص : ٢٩ (٤) النساء : ٦
(*) « الناس » من المخلوقات الخفية والجن والشياطين .

ناسًا للحركة الظاهرة والباطنة ، كما سمى الرجل حارث وهمام ، وهما أصدق الأسماء ، كما قال النبى ﷺ ؛ لأن كل أحد له هم وإرادة ، وهى مبدأ وحرث وعمل هو منتهى ، فكل أحد حارث وهمام والحرث والهم حركتا الظاهر والباطن ، وهو حقيقة النوس .

* وأصل « ناس » نوس تحركت الواو وقبلها فتحة فصارت ألفًا ، هذان هما القولان المشهوران فى اشتقاق الناس .

* وأما قول بعضهم : أنه من النسيان ، وسمى الإنسان إنسانًا لنسيانه ، وكذلك الناس سموا ناسًا لنسيانهم ، فليس هذا القول بشىء ، وأين النسيان الذى مادته (ن س ى) إلى الناس الذى ماته (ن و س) ؟ وكذلك أين هو من الأنس الذى مادته (أ ن س) ؟

وأما إنسان فهو فعْلان من (أ ن س) والألف والنون فى آخره زائدتان ، لا يجوز فيه غير هذا ألبتة ؛ إذ ليس فى كلامهم أنسن حتى يكون إنسانًا إفعالاً منه ، ولا يجوز أن يكون الألف والنون فى أوله زائدتين إذ ليس فى كلامهم انفعل ، فيتعين أنه فعلان من الإنس ، ولو كان مشتقًا من نسى لكان نسيانًا لا إنسانًا .

* *

* (فإن قلت) فهلا جعلته إفعلالاً وأصله (إنسيان) كليلة إصحيان ، ثم حذفت الياء تخفيفًا فصار إنسانًا .

(قلت) : يأبى ذلك عدم إفعلال فى كلامهم ، وحذف الياء بغير سبب ودعوى ما لا نظير له ، وذلك كله فاسد .

على أن الناس قد قيل : إن أصله : الأناس ، فحذفت الهمزة ، فقيل : الناس واستدل بقول الشاعر :

* إن المنايا يطلعن على الأناس الغافلينا *

ولا ريب أن أناسًا (فعال) ولا يجوز فيه غير ذلك البتة ؛ فإن كان أصل ناس أناسًا فهو أقوى الأدلة على أنه من أنس ، ويكون الناس كالإنسان سواء فى الاشتقاق ، ويكون وزن (ناس) على هذا القول (عال) ؛ لأن المحذوف

فاؤه ، وعلى القول الأول يكون وزنه (فَعْل) لأنه من النوس ، وعلى القول الضعيف يكون وزنه (فلع) لأنه من نسى فقلبت لامه إلى موضع العين فصار ناسًا ووزنه فلعًا .

* *

* والمقصود أن (الناس) اسم لبنى آدم فلا يدخل الجن فى مسماهم : فلا يصح أن يكون من الجنة والناس بيانًا لقوله تعالى : ﴿ فِى صُدُورِ النَّاسِ ﴾ ، وهذا واضح لا خفاء فيه .

* (فإن قيل) : لا محذور فى ذلك ، فقد أطلق على الجن اسم الرجال كما فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ [1] .

فإذا أطلق عليهم اسم (الرجال) لم يمتنع أن يطلق عليهم اسم (الناس).

(قلت) : هذا هو الذى غر من قال : إن الناس اسم للجن والإنس فى هذه الآية ، وجواب ذلك :

أن اسم (الرجال) إنما وقع عليهم وقوعًا مقيدًا فى مقابلة ذكر الرجال من الإنس ، ولا يلزم من هذا أن يقع اسم الناس والرجال عليهم مطلقًا : وأنت إذا قلت إنسان من حجارة ، أو ورجل من خشب ونحو ذلك ، لم يلزم من ذلك وقوع اسم الرجل والإنسان عند الإطلاق على الحجر والخشب .

وأيضًا فلا يلزم من إطلاق اسم الرجل على الجنى .. أن يطلق عليه اسم الناس ، وذلك لأن الناس والجنة متقابلان ، وكذلك الإنس والجن ، فالله سبحانه يقابل بين لفظين كقوله تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾ [2] .. وهو كثير فى القرآن الكريم ، وكذلك قوله : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ ﴾

---

(١) الجن : ٦ (٢) الأنعام : ١٣٠

يقتضى أنهما متقابلان فلا يدخل أحدهما فى الآخر ، بخلاف الرجال والجن فإنها لم يستعملا متقابلين . فلا يقال : الجن والرجال ، كما يقال : الجن والإنس .

وحينئذ فالآية أبين حجة عليهم فى أن الجن لا يدخلون فى لفظ الناس ؛ لأنه قابل بين الجنة والناس ، فعلم أن أحدهما لا يدخل فى الآخر .

* فالصواب القول الثانى ، وهو أن قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ بيان للذى يوسوس ، وأنهم نوعان : إنس وجن ، فالجنى يوسوس فى صدور الإنس ، والإنسى أيضًا يوسوس إلى الإنسى .

فالموسوس نوعان : إنس وجن ، فإن الوسوسة هى الإلقاء الخفى فى القلب ، وهذا مشترك بين الإنس والجن ، وإن كان إلقاء الإنسى ، ووسوسته إنما هى بواسطة الأذن ، والجنى لا يحتاج إلى تلك الواسطة ؛ لأنه يدخل فى ابن آدم ويجرى منه مجرى الدم ، على أن الجنى قد يتمثل له ويوسوس إليه فى أذنه كالإنسى ، كما فى حديث عروة عن عائشة ، عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الملائكة تُحَدِّث فى العنان - والعنان الغمام - بالأمر يكونُ فى الأرضِ ، فتستمعُ الشيطان الكلمة فتُقِرُّها فى أذنِ الكاهنِ كما تقرّ القارورة ، فيزيدون معها مائةَ كذبةَ من عند أنفسهم » (١) .

فهذه وسوسة وإلقاء من الشيطان بواسطة الأذن ، ونظير اشتراكهما فى هذه الوسوسة اشتراكهما فى الوحى الشيطانى ، قال تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (٢) .

فالشيطان يوحى إلى الإنسى باطله ، ويوحيه الإنسى إلى إنسى مثله ، فشياطين الإنس والجن يشتركان فى الوحى الشيطانى ، ويشتركان فى الوسوسة .

---

(١) رواه البخارى .　　(٢) الأنعام : ١١٢

وعلى هذا فتزول تلك الإشكالات والتعسفات التى ارتكبها أصحاب القول الأول ، وتدل الآية على الاستعاذة من شر نوعى الشياطين : شياطين الإنس والجن . وعلى القول الأول : إنما تكون الاستعاذة من شر شياطين الجن فقط فتأمله فإنه بديع جدًا .

* *

● مم اشتق الوسواس ؟ :

الوسواس فَعْلال من وَسْوَسَ ، وأصل الوسوسة : الحركة أو الصوت الخفى الذى لا يُحَسُّ فيحترز منه .

فالوسواس : الإلقاء الخفى فى النفس إما بصوت خفىّ لا يسمعه إلا مَنْ ألقى إليه : وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد . . ومن هذا وسوسة الحلى وهو حركته الخفية فى الأذن .

والظاهر - والله أعلم - إنها سُمِّيت وسوسة ؛ لقربها وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الإنس وهو الأذن ، فقيل : وسوسة الحلى ؛ لأنه صوت مجاور للأذن ، كوسوسة الكلام الذى يلقيه الشيطان فى أذن من يوسوس له .

* *

* ولما كانت الوسوسة كلامًا يُكرره الموسوس ، ويؤكده عند من يلقيه إليه ، كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها فقالوا : « وَسوسَ وسوسةً » فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه ، ونظير هذا ما تقدم من متابعتهم حركة اللفظ بإزاء متابعة حركة معناه ، كالدوران والغليان والنزوان وبابه (١) .

ونظير ذلك زلزل ودكدك وقلقل ، وكبكب الشيء ؛ لأن الزلزلة حركة

---

(١) ذكر هذا ابن جنى - عبقرى العربية - فى كتابه الخصائص .

متكررة ، وكذلك الدكدكة والقلقلة ، وكذلك كبكب الشيء إذا كبَّه في مكان بعيد ، فهو يكبّ فيه كبا بعد كبٍّ ، كقوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ ﴾ (١) .

ومثله رضرضه : إذا كرر رَضَّه مرة بعد مرة ، ومثله ذرذره : إذا ذرَّه شيئًا بعد شيء ، ومثله صَرصَرَ الباب : إذا تكرر صريره ، ومثله مَطْمَط الكلام : إذا مَطَّطه شيئًا بعد شيء ، ومثله كَفكَف الشيء إذا كرر كفّه ، وهو كثير .

* *

وقد علم بهذا أن مَن جَعل هذا الرباعي بمعنى الثلاثي المضاعف لم يصب ؛ لأن الثلاثي لا يدُلّ على تكرارٍ ، بخلاف الرباعي المكرر ؛ فإذا قلت : ذَرَّ الشيء ، وصرّ البابُ ، وكَفَّ الثوب ، ورضَّ الحبّ ، لم يدل على تكرار الفعل ، بخلاف ذَرْذَر وصَرصَرَ ورَضرَض ونحوه ، فتأمّله فإنه مطابق للقاعدة العربية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني (٢) ، وقد تقدم التنبيه على ذلك فلا وجه لإعادته ، وكذلك قولهم : « عَجَّ العِجل » : إذا صوت فان تابع صوته قالوا عَجْعَج ، وكذلك « ثَجَّ الماءُ » إذا صبَّ فإن تكرر ذلك قيل : ثجثج ، والمقصود : أن الموسوس لما كان يكرر وسوسته ويتابعها قيل وسوس .

* *

● **وهل الوسواس وصف أو مصدر ؟ :**

اختلف النُّحاةُ في لفظ الوسواس : هل هو وصف أو مصدر على قولين . ونحن نذكر حُجَّة كل قول ، ثم نُبيِّن الصحيحَ من القولين بعون الله وفضله :

* فأما مَن ذهب إلى أنه مصدرٌ فاحتجَّ بأن الفعل منه فَعْلَلَ والوصف من فَعْلَل إنما هو مُفَعْلِلٌ : كمُدَحْرِجٌ ومُسَرْهِفٌ ومُبَيْطِرٌ ومُسَيْطِرٌ ، وكذلك هو من فَعلَ بوزن مفعل كمقطع ومخرج وبابه .

---

(١) الشعراء : ٩٤ (٢) ذكر ذلك ابن جني في كتابه « الخصائص » .

فلو كان الوسواس صفةً لقيل : مُوَسْوِس ، ألا ترى أن اسم الفاعل من زَلْزَلَ مُزَلْزِلٌ لا زَلزال ، وكذلك من دَكْدَكَ مُدَكْدِكٌ ، وهو مطرد ، فدل على أن الوسواس مصدر وصف به على وجه المبالغة ، أو يكون على حذف مضاف تقديره (ذو الوسواس) .. قالوا : والدليل عليه أيضًا قول الشاعر :

* تسمع للحلى بها وسواسًا *(١)

فمعنى مصدر بمعنى الوسوسة سواء .

* *

* وقال أصحاب القول الآخر : الدليل على أنه وصف أن فَعْلَلَ ضربان .

١ - صحيح لا تكرار فيه : كدحرج وسرهف وبيطر ، وقياس مصدر هذا الفَعللة كالدَّحرجة والسرهفة والبيطرة ، والفِعلان بكسر الفاء كالسرهاف والدحراج ، والوصف منه مُفَعلل كمدحرج ومبيطر .

٢ - فَعْلَل الثنائى المكرر كَزلزَل ودَكدك ووَسوس ، وهذا فرع على فعلل المجرد عن التكرار ؛ لأن الأصل السلامة من التكرار ، ومصدر هذا النوع والوصف منه مساوٍ لمصدر الأول ووصفه ؛ فمصدره يأتى على الفعللة كالوَسوسة والزلزلة ، والفِعلال كالزلزال .

وأقيس المصدرين وأولاهما بنوعى فعلل الفِعلال لأمرين :

(أ) أن فَعْلَل مشاكل لأفعَل فى عدد الحروف وفتح الأول والثالث والرابع وسكون الثانى ؛ فجعَل إفعال مصدر أفْعَل ، وفعلال مصدر فعلل ، ليتشاكل المصدران كما يتشاكل الفعلان : فكان الفِعلال أولى بهذا الوزن من الفَعللة .

(ب) أن أصل المصدر أن يخالف وزنه وزن فعله ، ومخالفة فعلال لفعلل ، أشد من مخالفة فعللة له ؛ فكان فعلال أحق بالمصدرية من فعللة ، أو تساويا فى الإطراد ، مع أن فعللة أرجح فى الاستعمال وأكثر ، هذا هو الأصل .

---

(١) قال الأعشى :

تسمع للحَلْى وسواسًا إذا انصرفت   كما استعان بريح عِشرق زجـــل

(عشرق : نوع من الشجر ، زجل صوت الريح) .

obeikan.com

وقد جاءوا بمصدر هذا الوزن المكرر مفتوح الفاء فقالوا : وَسوس الشيطان وَسواسًا ، ووعوع الكلب وَعواعًا ، إذا عوى . وعَظعظ السهم عَظعاظًا .

والجارى على القياس فِعلال بكسر الفاء أو فعللة ، وهذا المفتوح نادر ؛ لأن الرباعى الصحيح أصل للمتكرر ولم يأت مصدر الصحيح مع كونه أصلاً إلا على فَعللة وفِعلال بالكسر ، فلم يحسن بالرباعى المكرر لفرعيته أن يكون مصدره إلا كذلك ؛ لأن الفرع لا يخالف أصله بل يحتذى فيه حذوه ، وهذا يقتضى ألا يكون مصدرُه على فَعلال بالفتح فإن شذ حُفِظ ولم يزد عليه .

* قالوا : وأيضًا فإن فعلالاً المفتوح الفاء قد كثر وقوعه صفة مصوغة من فَعلل المكرر ، ليكون فيه نظير فعال من الثلاثى ؛ لأنهما متشاركان وزنًا ، فاقتضى ذلك : ألا يكون لفعلال من المصدرية نصيب ، كما لم يكن لفعال فيها نصيب ، فلذلك استندروا وقوع وسواس ووعواع وعظعاظ مصادر ، وإنما حقها أن تكون صفات دالة على المبالغة فى مصادر هذه الأفعال .

* قالوا : وإذا ثبت هذا فحقٌّ ما وقع منها محتملاً للمصدرية والوصفية أن يُحمل على الوصفية ، حملاً على الأكثر الغالب ، وتجنُبًا للشاذ .

فمن زعم أن الوسواس مصدر مضاف إليه (ذو) تقديرًا ، فقوله خارج عن القياس والاستعمال الغالب ، ويدل على فساد ما ذهب إليه أمران :

أحدهما : أن كل مصدر أضيف إليه ذو تقديرًا فتجرُّده للمصدرية أكثر من الوصف به كرضى ، وصوم ، وفطر ، وفعلال المفتوح لم يثبت تجرده للمصدرية إلا فى ثلاثة ألفاظ فقط : (وَسواس ووَعواع وعَظعاظ) .

على أن منع المصدرية فى هذا ممكن ، لأن غاية ما يمكن أن يستدل به على المصدرية قولهم : وسوس إليه الشيطانُ وَسواسًا ، وهذا لا يتعين للمصدرية ؛ لاحتمال أن يراد به الوصفية ، وينتصب وسواسًا على الحال ، ويكون حالاً مؤكدة ؛ فإن الحال قد يؤكد بها عاملها الموافق لها لفظًا ومعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ﴾ (١) ، وقوله تعالى :

(١) النساء : ٧٩

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾ (١) .

نعم ، إنما تتعين مصدرية الوسواس : إذا سمع أعوذ بالله من وسواس الشيطان ونحو ذلك ، مما يكون الوسواس فيه إلى مضافًا إلى فاعله كما سمع ذلك فى الوسوسة ، ولكن أين لكم ذلك ؟ فهاتوا شاهده ، فبذلك يتعين أن يكون الوسواس مصدرًا لا بانتصابه بعد الفعل .

الوجه الثانى : من دليل فساد من زعم أن وسواسًا مصدر مضاف إليه ذو تقديرًا : أن المصدر المضاف إليه (ذو) تقديرًا لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع ، بل يلزم طريقة واحدة ، ليعلم أصالته فى المصدرية ، وأنه عارض الوصفية ، فيقال : امرأة صَوْمٌ ، وامرأتان صوم ، ونساء صوم ؛ لأن المعنى : ذات صوم، وذاتا صوم ، وذوات صوم .

وَفَعلال الموصوف به ليس كذلك ، بل يثنى ويجمع ويؤنث ، فتقول : رجل ثرثار ، وامرأة ثرثارة ، ورجال ثرثارون ، وفى الحديث

« أبغضكم إلَيَّ الثرثارون المتفَيْهقُونَ » (٢) .

* وقالوا : ريحٌ رَفرافة : أي تحرك الأشجار ، وريح سَفسافة أى تُنخَلِ التراب ، ودِرعٌ فَضفاضة أى متسعة .

والفعل من ذلك كله فَعْلَلَ ، والمصدر فعللة وفِعلال بالكسر ، ولم ينقل فى شىء من ذلك فَعلال بالفتح ، وكذلك قالوا : تَمتام ، وفَأفاء ، ولَضلاض : (أى ماهر فى الدلالة) ، وفَجفَاج : كثير الكلام ، وهَرهَار : أى ضحّاك كهكاه ، ووطواط أى ضعيف ، وحشحاش وعسعاس : أى خفيف وهو كثير . . ومصدره كله الفَعللة ، والوصف فَعلال بالفتح ، ومثله هَفْهَاف أى خميص ، ومثله دَحْدَاح أى قصير ، ومثله بَجْبَاج أى جسيم ، وتَختَاخ أى ألكن ، وشَمْشَام أى سريع ، وشيه خَشْخَاش ، أي : مَصَوّت ، وقعقاع مثله ، وأسد قَضقاض أى كاسر ، وحيَّةٌ نَضناض : تُحرّك لسانها . . فقد رأيت

---

(١) النحل : ١٢ (٢) رواه الترمذى فى « البر » ، وأحمد فى « المسند » .

فعلال فى هذا كله (وصفًا) لا مصدرًا ، فما بال الوَسواس أخرج عن نظائره وقياس بابه ؟!

فثبت أن وسواسًا (وصفٌ) لا مصدر كثَرثَار وتمتام ودَحداح وبابه . . .

* *

* ويدل عليه وجه آخر ، وهو : أنه وصفه بما يستحيل أن يكون مصدراً ، بل هو متعين (الوصفية) وهو الخنَّاس : فالوسواس والخناس وصفان لموصوف محذوف وهو الشيطان ، وحَسَّنَ حذفَ الموصوف ههنا غلبةُ الوصف حتى صار كالعلم عليه .

والموصوف إنما يقبحُ حذفُه . . إذا كان الوصفُ مشتركًا فيقع اللبس : كالطويل والقبيح ، والحسن ، ونحوه ، فيتعين ذكر الموصوف ؛ ليعلم أن الصفة له لا لغيره .

فأما إذا غلبَ الوصفُ ، واختص ولم يعرض فيه اشتراكٌ ، فإنه يجرى مجرى الاسم ، ويحسن حذفٌ الموصوف ؛ كالمسلم والكافر ، والبر والفاجر، والقاصى والدانى ، والشاهد والوالى ، ونحو ذلك ؛ فحذف الموصوف هنا أحسن من ذكره .

وهذا التفصيل أولى من إطلاق من منع حذف الموصوف ولم يفصل .

* ومما يدل على أن الوسواس وصف لا مصدر :

أن الوصفية أغلب على فعلال من المصدرية كما تقدم ، فلو أريد المصدر ؛ لأتى (بذو) المضافة إليه ليزول اللبس وتتعين المصدرية ؛ فإن اللفظ إذا احتمل الأمرين على السواء فلا بد من قرينة تدل على تعيين أحدهما ، فكيف والوصفية أغلب عليه من المصدرية ؟ وهذا بخلاف صوم وفطر وبابهما ؛ فإنها مصادر لا تلتبس بالأوصاف ، فإذا جرت أوصافًا . . علم أنها على حذف مضاف أو تنزيلاً للمصدر منزلة الوصف مبالغة على الطريقتين فى ذلك .

فتعين أن الوسواس هو (الشيطان) نفسه ، وأنه ذات لا مصدر ، والله أعلم .

* * *